

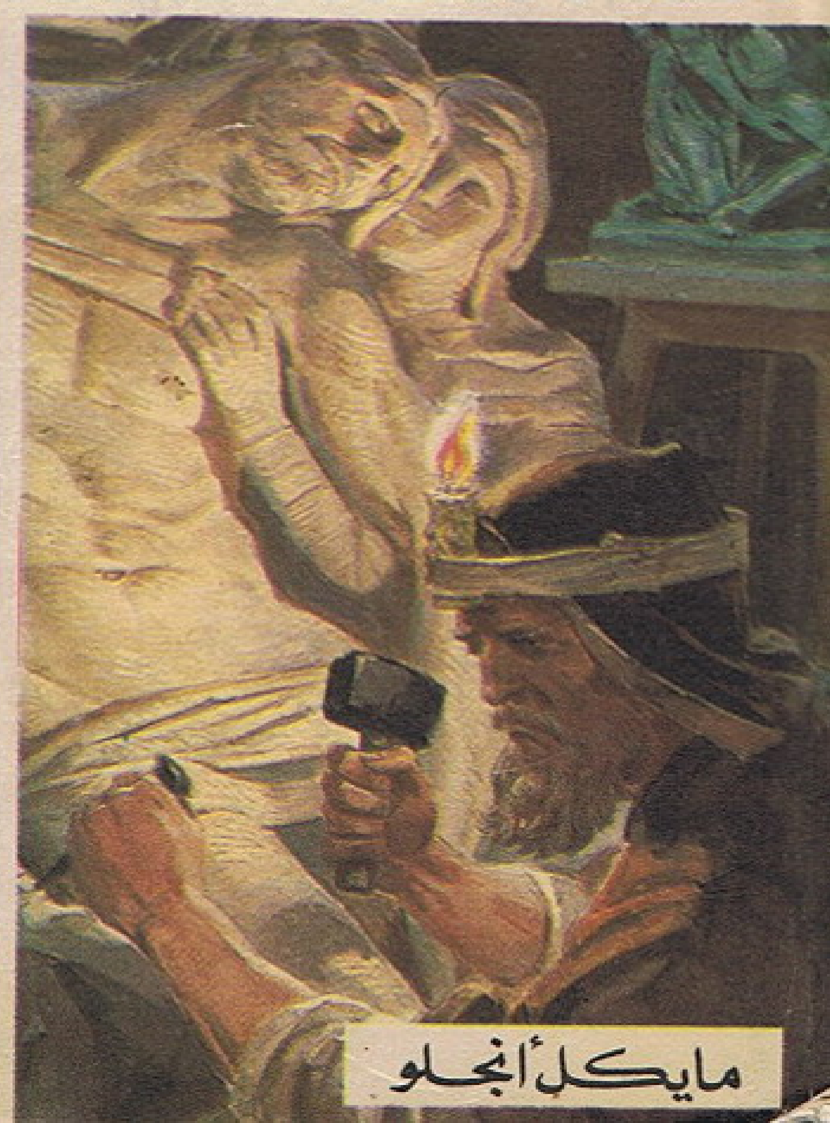


الفَنّانون العظَام

الجزء الثّاني







عِنْدَمَا نَعْرِفُ بَعْضَ التَّفْصِيلاتِ الخَفِيَّةِ لِحَيَاةِ كِبارِ الفَنَّانِينَ وَطَبَائِعِهِمْ والأَثَرِ الَّذِي تَرَكَتْهُ البِيئَةُ الَّتِي كانُوا يَعِيشُونَ فِيها عَلَى أَعْمَالِهِمْ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَذَوَّقَ هٰذِهِ الأَعْمَالَ بِمُتْعَةٍ أَكْثَرَ عِنْدَمَا نَزُورُ مُتْحَفاً لِلْفُنُونِ.

وهٰذا الكِتابُ يَرْوِي شَيْئاً عَنْ حَيَاةِ لِيُونَارْدُو دافِنْتشي ومايكل أَنْجِلو وَرَفاييل. كما أَنَّ فِيهِ صُوَراً رائِعَةً مُلَوَّنَةً تُصَوِّرُهُمْ في أَثْنَاءِ قِيامِهِمْ بِإِنْتاجِ رَوائِعِهِم العَظِيمَةِ.

إِنَّهُ كِتابٌ كَفِيلٌ بِأَنْ يَسْتَهْوِيَ الأَوْلادَ. وَيَأْخُذَ بِأَلْبَابِهِمْ، بَلْ إِنَّهُ يَسْتَحْوِذُ عَلَى مَشَاعِرِ كَثِيرِينَ مِنَ الكِبَارِ أيضاً.

الْفَنَّانُونَ الْوَارِدُ ذِكْرُهُمْ في هذا الْكِتَابِ هُمْ:

لِيُونَارْدُو دافِنْتشي	(١٤٥٢ - ١٥١٩)
مَايْكِلْ أَنْجِلُو	(١٤٧٥ - ١٥٦٤)
رَفَاييل	(١٤٨٣ - ١٥٢٠)

النـاشـرون:

مكتبة لبنان — بيروت

ليديبرد بوك ليمتد — لافبورو

لونغمان — هارلو







تأليف : دوروثي آيتشيسُون

نقلته الى العربيّة : بهيّة كرم

وضع الرسوم : مارتن آيتشيسُون



طُبع في انكلترا



لِيُونَارْدُو دَافِنتشي (١٤٥٢ – ١٥١٩)

وُلِدَ لِيُونَارْدُو دَافِنْتشي في مِنْطَقَةٍ بِالْقُرْبِ مِن فُلُورَنْسَا سَنَةَ ١٤٥٢. وكَانَ مِنْ أَبْرَزِ فَنَّانِي عَصْرِ النَّهْضَةِ الإِيطالِيَّةِ – عَصْرِ انْتِعَاشِ الاهْتِمَامِ بالعِلْمِ وَالأَدَبِ وَالفُنُونِ، الَّذِي امْتَدَّ مِنْ سَنَةِ ١٣٠٠ إِلَى سَنَةِ ١٥٠٠ م – وَحِينَ أَخَذَ المُثَقَّفُونَ في أُورُبَّا يَهْتَمُّونَ بالعِمَارَةِ الإِغْرِيقِيَّةِ وَالنَّحْتِ اليُونانِيِّ القَدِيمِ.

كَانَتْ مَدِينَةُ فلورَنْسَا ولايَةً مِنْ أَغْنَى الوِلايَاتِ الإِيطالِيَّةِ المُسْتَقِلَّة، وكانَتْ تُسَيْطِرُ عَلَيْهَا عَائِلَةُ «مِيدِيتْشي» القَوِيَّةُ الَّتِي عُرِفَ أَفْرَادُهَا بِسَخَائِهِمْ في تَشْجِيعِ الفُنُونِ. وَفي ذَلِكَ الوَقْتِ كانَ يعمَلُ في المَدِينَةِ كَثِيرٌ مِنَ الفَنَّانِينَ وَالحِرَفِيِّينَ المُبْدِعِينَ. فَفِي أَوَائِلِ القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ كانَ يَعْمَلُ فيها ثَلاثَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الفَنَّانِينَ العَالَمِيِّينَ، وَهُمْ لِيُونَارْدُو دافنتشي، وَمَايْكِلْ أَنْجلو، وَرَفاييل.

وُلِدَ لِيُونَارْدُو دَافِنْتشي مِنْ أَبٍ مُحامٍ يَعْمَلُ مُسَجِّلاً لِلْعُقُودِ، وَمِنْ أُمٍّ فَلَّاحَةٍ. وَفي ذَاتِ يَوْمٍ طَلَبَ فلَّاحٌ مِنْ وَالِدِ لِيُونارْدُو أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ دِرْعاً خَشَبِيَّةً إِلَى فلُورَنْسَا، كَيْ يُنْقَش عَلَيْهَا رَسْمٌ زُخْرُفِيٌّ. وَخَطَرَ لِمُسَجِّلِ العُقُودِ أَنَّ ابْنَهُ قَادِرٌ عَلَى القِيَامِ بِهَذَا العَمَلِ، فَأَعْطَاهُ الدِّرْعَ – وَقَرَّرَ لِيُونارْدُو أَنْ يَرْسُمَ عَلَيْهَا وَحْشاً أُسْطُورِيّاً يَنْفُثُ النَّارَ وَالسُّمُومَ، فَجَمَعَ عَدَداً مِنَ السَّمَادِلِ (جمع سَمَنْدَل) وَالفَرَاشَاتِ وَالثَّعَابِينِ وَالدِّيدانِ وَالخَفَافِيشِ وَالجَرَادِ لِيَسْتَخْدِمَهَا كَنَمَاذِجَ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ أَبُوهُ الغُرْفَةَ المُعْتِمَةَ، أُصِيبَ بِصَدْمَةٍ.



وَٱنْتَقَلَتْ عَائِلَةُ لِيُونَارْدُو سَنَةَ ١٤٦٦ إِلَى فْلُورَنْسَا ، وَذَهَبَ هُوَ لِيَعْمَلَ فِي مَرْسَمِ (سْتُودْيُو) ٱلْفَنَّانِ فِيرُوتْشِيُو. وَكَانَ فِيرُوتْشِيُو هَذَا مُعَلِّماً قَدِيراً بَدَأَ حَيَاتَهُ كَصَائِغٍ وَكَانَ فِي نَحْوِ ٱلثَّلاثِينَ مِنْ عُمْرِهِ حِينَ ٱلْتَحَقَ لِيُونَارْدُو بِمَرْسَمِهِ. وَكَانَ لَهُ تَلامِيذُ آخَرُونَ ذَاعَتْ شُهْرَتُهُمْ فِيمَا بَعْدُ مِنْ أَمْثَالِ بوتشِلِّي وَبِيرُجِينُو. وَأَمْضَى لِيُونَارْدُو سِتَّةَ أَعْوَامٍ فِي ٱلتَّدَرُّبِ لَدَى فِيرُوتْشِيُو. وَتَعَلَّمَ صِيَاغَةَ ٱلْفِضَّةِ وَٱلْبْرُونْزِ، كَمَا تَعَلَّمَ ٱلرَّسْمَ وَٱلتَّلْوِينَ.

وَكَانَتْ أُولَى مُحَاوَلاتِ لِيُونَارْدُو فِي ٱلرَّسْمِ عَلى مَا نَعْلَمُ جُزْءاً مِنْ لَوْحَةٍ لِلْفَنَّانِ فِيرُوتْشِيُو أَسْمَاهَا «تَعْمِيدَ ٱلْمَسِيحِ» فَقَدْ رَسَمَ لِيُونَارْدُو فِي ٱلْجَانِبِ ٱلأَيْسَرِ مِنَ ٱللَّوْحَةِ مَلاكاً يَتَّسِمُ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ ٱلرِّقَّةِ وَٱلْحَنَانِ، لا نَكَادُ نَلْمَسُهَا فِي ٱلأَشْخَاصِ ٱلَّذِينَ رَسَمَهُم فِيرُوتْشِيُو نَفْسُهُ، هَذَا إِلَى أَنَّ ذَلِكَ ٱلْمَلاكَ مَرْسُومٌ بِٱلزَّيْتِ. وَكَانَ هَذَا تَقْلِيداً حَدِيثاً مُسْتَوْرَداً مِنَ ٱلأَرَاضِي ٱلْمُنْخَفِضَةِ. أَمَّا بَاقِي ٱلصُّورَةِ فَكَانَ مَرْسُوماً بِٱلأَلْوَانِ ٱلْغِرَائِيَّةِ ٱلآحِيَّةِ (التمبرا). وَيُقَالُ إِنَّ فِيرُوتْشِيُو دَهِشَ لِمَهَارَةِ تِلْمِيذِهِ، وَكَفَّ بَعْدَهَا عَنِ ٱلرَّسْمِ نِهَائِيّاً، وَٱقْتَصَرَ عَلَى ٱلنَّحْتِ. وَكَانَ لِيُونَارْدُو مُولَعاً بِأُسْتَاذِهِ، فَلَمْ تَتَأَثَّرْ أَعْمَالُهُ بِفَنَّانٍ آخَرَ سِوَاهُ.

وَفِي سَنَةِ ١٤٧٢ ٱنْضَمَّ لِيُونَارْدُو إِلَى رَابِطَةِ ٱلْقِدِّيسِ لُوقَا (وَهِيَ نِقَابَةُ رَسَّامِينَ) وَٱسْتَأْجَرَ لَهُ وَالِدُهُ مَرْسَماً، وَكَانَ حِينَذَاكَ شَابّاً وَسِيماً، طَوِيلَ ٱلْقَامَةِ نَحِيلَهَا، ذَا شَعْرٍ ذَهَبِيٍّ مُصَفَّفٍ وَمُجَعَّدٍ بِعِنَايَةٍ. وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى ٱلْعُزْلَةِ، بَيْنَمَا عَقْلُهُ لا يَكُفُّ عَنِ ٱلْبَحْثِ وَٱلاسْتِقْصَاءِ، مُكَرِّساً وَقْتاً طَوِيلاً لِلدَّرْسِ.

فِيرُوتْشِيُو مُعْجَبٌ بِٱلْمَلاكِ ٱلَّذِي رَسَمَهُ لِيُونَارْدُو.

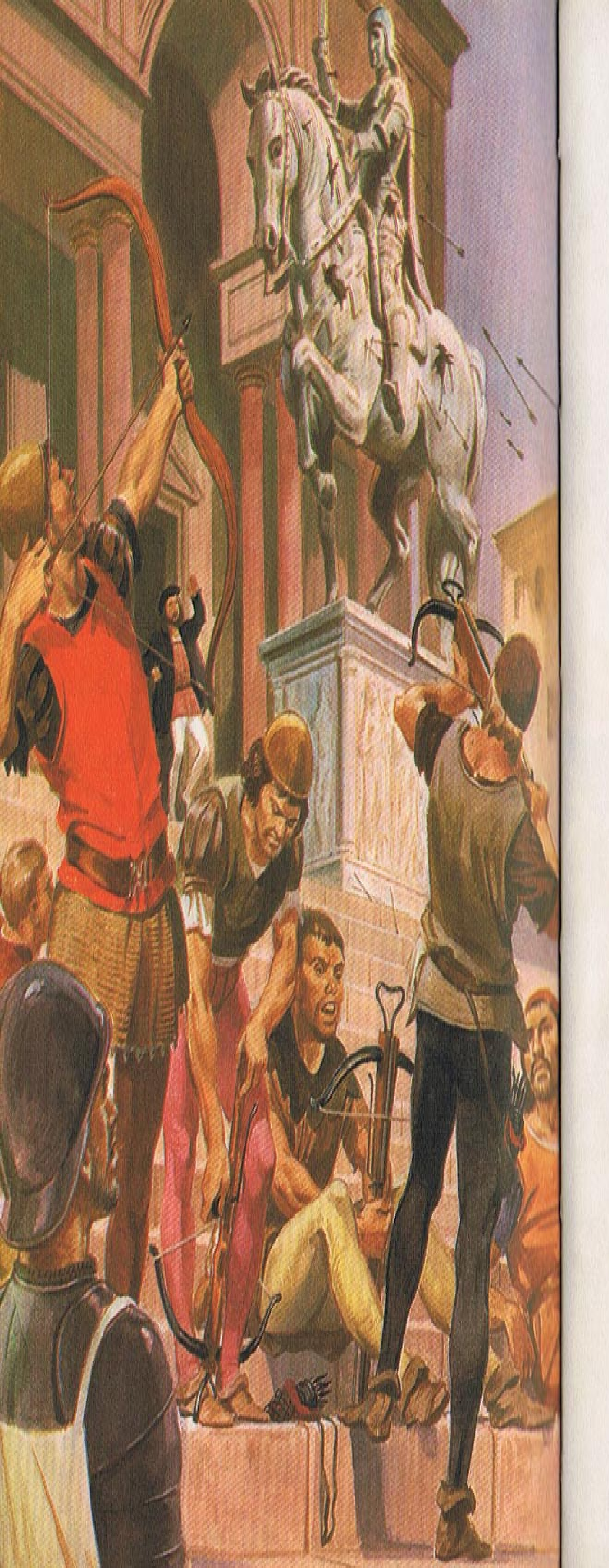


وَلَمْ يَسْتَقِرَّ لِيُونَارْدُو في فلورنسا لِيُصْبِحَ رَسَّاماً نَاجِحاً. فَقَدْ عُهِدَ إِلَيْهِ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ مِنْ أُسْرَةِ مِيدِيتْشِي التَّشْجِيعَ الَّذِي لَقِيَهُ أَنْجِلُو. وَفي سَنَةِ ١٤٨١ بَدَأَ في عَمَلِ لَوْحَةٍ لِمَذْبَحِ رُهْبَانِ سانت دُوناتو - عُنْوانُها «عِبَادَةُ الْمَجُوسِ» وكَانَ هٰذَا الْعَمَلُ حَافِلاً بِالْأَفْكَارِ الْجَدِيدَةِ.

وَسَاعَدَ لُورِنْزُو دي مِيدِيتْشِي لِيُونَارْدُو بِأَنْ أَعْطَاهُ خِطَابَ تَقْدِيمٍ لِدُوقِ مِيلَانُو، لُودُوفِيكُو الْمُورو. وَذَهَبَ لِيُونَارْدُو إِلَى مِيلَانُو سَنَةَ ١٤٨٢ آخِذاً مَعَهُ قِيثَاراً صَنَعَهُ مِنَ الْفِضَّةِ عَلَى شَكْلِ جُمْجُمَةِ حِصَانٍ. وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ لُودُوفِيكُو كَانَ مُنْهَمِكاً في الْحُرُوبِ، كَتَبَ لَهُ خِطَاباً مُسْهَباً قَبْلَ ذَهَابِهِ يَصِفُ لَهُ فِيهِ مَهَارَتَهُ كَمُهَنْدِسٍ حَرْبِيٍّ، وَبَعَثَ قَائِمَةً بِتَصْمِيمَاتِهِ لِجُسُورٍ وَمَدَافِعِ هَاوِنٍ.

وكَانَ حَاكِمُ مِيلَانُو ثَرِيّاً وَقَوِيّاً، وَلٰكِنْ لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ الاهتِمَامُ بِتَشْجِيعِ الْفَنَّانِينَ. لِذَا فَقَدْ رَحَّبَ بِلِيُونَارْدُو كَمُوسِيقِيٍّ وَمُنَظِّمِ حَفَلَاتٍ وَمِهْرَجَانَاتٍ أَكْثَرَ مِمَّا رَحَّبَ بِهِ كَرَسَّامٍ. وَحَاوَلَ لِيُونَارْدُو أَنْ يَسْتَثِيرَ اهْتِمَامَ الدُّوقِ بِعِدَّةِ مَشَارِيعَ. وَكَانَ الطَّاعُونُ قَدْ أَبَادَ ثُلُثَ سُكَّانِ مِيلَانُو. فَفَكَّرَ لِيُونَارْدُو في تَخْطِيطِ الْمَدِينَةِ مُجَدَّداً، وَكَانَتْ أَفْكَارُهُ تَقَدُّمِيَّةً مُدْهِشَةً. فَقَدْ خَطَّطَ أَحْيَاءً فَرْعِيَّةً لِتَخْفِيفِ كَثَافَةِ السُّكَّانِ وَمَنْعِ انْتِشَارِ الْمَرَضِ. كَمَا فَكَّرَ في حَفْرِ قَنَوَاتٍ تَنْصَرِفُ فِيهَا الْمِيَاهُ بِسُرْعَةٍ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْقَاذُورَاتِ. وَجَمَحَ تَفْكِيرُ لِيُونَارْدُو إِلَى حَدِّ أَنَّهُ تَصَوَّرَ إِمْكَانِيَّةَ إِقَامَةِ شَوَارِعَ ذَاتِ طَابِقَيْنِ وهِيَ فِكْرَةٌ يَعْمَلُ الْمُهَنْدِسُونَ في الْعَصْرِ الْحَاضِرِ عَلَى تَخْطِيطِهَا، وَتَنْفِيذِهَا لِلتَّغَلُّبِ عَلَى أَزْمَةِ الْمُدُنِ الْمُكْتَظَّةِ.

يُحَاوِلُ لِيُونَارْدُو أَنْ يَسْتَثِيرَ اهْتِمَامَ دُوقِ مِيلَانُو بِاخْتِرَاعَاتِهِ.



وَلَوْ أَنَّهُ عُهِدَ إِلَى لِيُونَارْدُو بِرَسْمِ لَوْحَاتٍ فَنِّيَّةٍ فِي مِيلَانُو لَكَانَ رَحَّبَ بِذَلِكَ. وَلَكِنْ نُظِرَ إِلَيْهِ عَلَى ٱعْتِبَارِ أَنَّهُ أَقْدَرُ عَلَى ٱلْقِيَامِ بِتَصْمِيمِ خَلْفِيَّاتِ ٱلْمَسَارِحِ وَتَخْطِيطِ الْمُهِمَّاتِ ٱلَّتِي تَتَطَلَّبُ فِطْنَةً وَذَكَاءً مِنْهُ عَلَى إِبْدَاعِ لَوْحَاتٍ رَائِعَةٍ كَفَنَّانٍ عَظِيمٍ. وَقَدْ صَوَّرَ لِيُونَارْدُو بَعْضَ لَوْحَاتٍ تُمَثِّلُ أَشْخَاصاً، وَعَدَداً قَلِيلاً مِنْ صُوَرِ ٱلْعَذْرَاءِ، وَبَدَأَ صُورَتَهُ ٱلشَّهِيرَةَ «عَذْرَاءَ الصُّخُورِ» ٱلْمَوْجُودَةَ ٱلآنَ فِي ٱلْمُتْحَفِ ٱلأَهْلِيِّ بِلَنْدَنَ. كَانَ لِيُونَارْدُو رَجُلاً مُتَعَدِّدَ ٱلْمَوَاهِبِ، وَلِذَا كَانَ مُوَزَّعَ ٱلْجُهُودِ. وَيُوجَدُ ٱلْيَوْمَ أَقَلُّ مِنْ عِشْرِينَ لَوْحَةً مِنْ لَوْحَاتِهِ.

بَدَأَ لِيُونَارْدُو فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِهِ فِي بَلَاطِ لُودُوفِيكُو مَشْرُوعَيْنِ كَانَا سَبَباً فِي شُهْرَتِهِ. فَقَدْ فَكَّرَ لُودُوفِيكُو فِي إِقَامَةِ تِمْثَالٍ عَظِيمٍ لِفَارِسٍ مِنْ أَسْلَافِهِ هُوَ فَرَانْسِيسْكُو سْفُورْزَا، فَأَمَرَ بِأَنْ يُجْمَعَ تِسْعُونَ طُنّاً مِنَ ٱلْبُرُونْزِ فِي بَاحَةِ ٱلْقَصْرِ، وَبَدَأَ لِيُونَارْدُو مُهِمَّتَهُ، فَعَكَفَ عَلَى دِرَاسَةِ نَمَاذِجَ كَثِيرَةٍ لِجِيَادٍ تَرْقُصُ وَتَعْدُو كَمَا دَرَسَ تَكْوِينَ عِظَامِهَا وَعَضَلَاتِهَا بِٱلتَّفْصِيلِ. وَفَكَّرَ فِي مُشْكِلَةِ صَبِّ ٱلْحِصَانِ مِنَ ٱلْبُرُونْزِ، فَصَمَّمَ مَشْرُوعاً لإِقَامَةِ أَرْبَعَةِ أَفْرَانٍ تَصُبُّ ٱلْبُرُونْزَ ٱلسَّائِحَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

وَفِي سَنَةِ ١٤٩٣ عَرَضَ تِمْثَالَهُ ٱلْمَصْنُوعَ مِنَ ٱلصَّلْصَالِ أَمَامَ ٱلْقَصْرِ، وَذَاعَ صِيتُ عَمَلِهِ ٱلْعَظِيمِ فِي إِيطَالْيَا كُلِّهَا. وَلَكِنْ لِسُوءِ حَظِّ لِيُونَارْدُو، كَانَ لُودُوفِيكُو وَقْتَهَا يُحَارِبُ فَرَنْسَا، فَأَخَذَ ٱلْبُرُونْزَ ٱلثَّمِينَ لِيَصْنَعَ مِنْهُ مَدَافِعَ. أَمَّا ٱلنَّمُوذَجُ ٱلصَّلْصَالِيُّ لِلتِّمْثَالِ فَقَدْ أَتْلَفَهُ نَبَّالُونَ فَرَنْسِيُّونَ، جَعَلُوهُ هَدَفاً لِلرَّمْيِ.

نَبَّالُونَ فَرَنْسِيُّونَ يَتَّخِذُونَ نَمُوذَجَ لِيُونَارْدُو هَدَفاً لِلتَّدَرُّبِ عَلَى الرَّمْيِ.

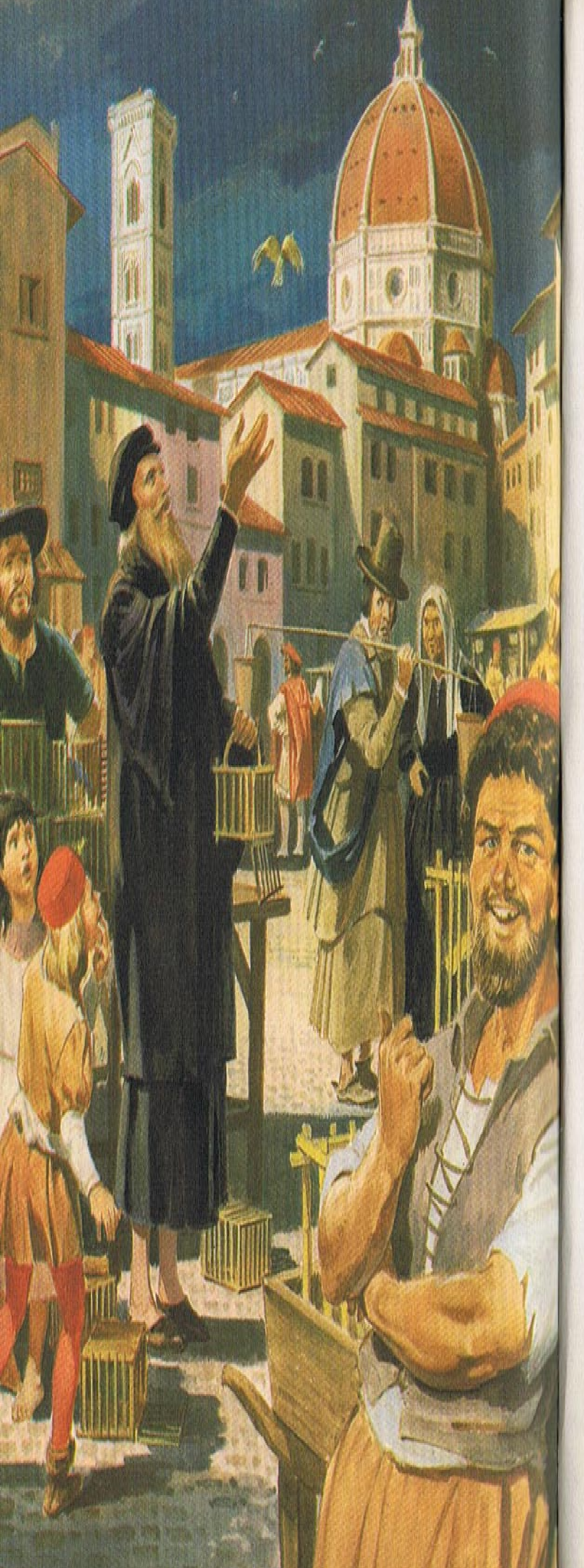


وَحَزِنَ لِيُونَارْدُو لِفَقْدِ ٱلبرونز كما ضَايَقَتْهُ قِلَّةُ ٱلنُّقود ، فَمَعَ أَنَّ ٱحْتِيَاجَاتِهِ ٱلشَّخْصِيَّةَ كَانَتْ قَلِيلَةً ، إِذْ كَانَ نَبَاتِيًّا وَلَا يَحْتَسِي ٱلْخَمْرَ إِلَّا نَادِراً ، فَقَدْ كَانَ مُطَالَباً بِأَنْ يَدْفَعَ أُجُورَ مُعَاونيهِ . لكِنَّه فِيمَا بَيْنَ سَنَتَيْ ١٤٩٥ و ١٤٩٧ رَسَمَ لَوْحَةَ «ٱلعَشَاءِ ٱلأَخِيرِ» ٱلَّتِي جَعَلَتْ مِنه زَعِيمَ ٱلرَّسَّامِينَ الإِيطَالِيِّين.

وَلَقَدْ عَهِدَ دَيْرُ سَانْتَا مَارِيَّا ٱلدُّومِينكَانِيُّ إِلَى لِيُونَارْدُو بِرَسْمِ لَوْحَةِ ٱلعَشَاءِ ٱلأَخِيرِ. وَقَدْ رُسِمَتْ عَلَى جِدَارٍ يَبْلُغُ طُولُهُ عشرَةَ امتارٍ ، وارتفاعُهُ أَرْبَعَةَ أَمْتَارٍ ونصفاً . وَعِنْدَمَا ٱكْتَمَلَتِ ٱللَّوْحَةُ أَصْبَحَتْ أَشْهَرَ لَوْحَةٍ فِي ٱلعَالَمِ ٱلمَسِيحِيِّ. وَأَرَادَ مَلِكُ فَرَنْسَا نَقْلَهَا كَمَا هِيَ إِلَى فَرَنْسَا بِجِدَارِهَا . وَلِسُوءِ ٱلحَظِّ كَانَ بِنَاءُ الجِدَارِ وَاهِياً ، هَذَا إِلَى أَنَّ لِيُونَارْدُو استَخدَمَ نوعاً من ٱلتَّلْوِينِ ٱلزَّيْتِيِّ ٱلغِرائِيِّ بَدَلاً مِنْ طَرِيقَةِ «ٱلفريسكُو» ٱلمُعْتَادَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ تُرْسَمُ بِهَا ٱللَّوْحَاتُ عَلَى ٱلجِبْسِ ٱلرَّطْبِ. وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ آلَتِ ٱللَّوْحَةُ إِلَى حالَتِهَا السيِّئَةِ ٱلرَّاهِنَةِ.

وَقَدْ قَامَ لِيُونَارْدُو بِعِدَّةِ دِرَاسَاتٍ عَنِ ٱلحَوَارِيِّين ، وَبَذَلَ عِنَايَةً كُبْرَى فِي تَكْوِينِ ٱلمَجْمُوعَةِ وَتَلْوِينِهَا . فَكَانَ يَجُوبُ شَوَارِعَ حَيِّ ٱلمُجْرِمِينَ بِمِيلانُو بَاحِثاً عَنْ وَجْهٍ شِرِّيرٍ يَنْطَبِقُ على وَجْهِ يَهُوذَا ٱلإِسْخَرْيُوطِيِّ كَمَا تَصوَّرَهُ . وكَانَ رَئِيسُ رُهْبَانِ ٱلدَّيْرِ يُواصِلُ حَثَّهُ عَلَى إِتْمَامِ ٱلعَمَلِ بِسُرْعَةٍ ، وَشكَاهُ إِلَى الدُّوقِ قَائِلاً : إِنَّهُ يَقْضِي نِصْفَ ٱليَوْمِ يُحَدِّجُ بِبَصَرِهِ فِي ٱللَّوْحَةِ . فأجابَ لِيُونَارْدُو أنّه قد يُضْطَرُّ فِي ٱلنِّهَايَةِ إِلى جَعْلِ رَئِيسِ ٱلرُّهْبَانِ نموذجاً.

لِيُونَارْدُو يَقْتَرِحُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ رَئِيسِ ٱلدَّيْرِ نَمُوذَجاً لِيَهُوذَا ٱلإِسْخَرْيُوطِيِّ فِي لَوحَةِ «ٱلعَشَاءِ ٱلأَخِيرِ».



إهْتَمَّ لِيونَارْدُو بِالطَّبِيعَةِ اهْتِماماً كَبِيراً مُنْذُ طُفُولَتِهِ. وَقَدْ تَرَكَ نَحْوَ سَبْعَةِ آلافِ صَفْحَةٍ دَوَّنَ فِيهَا مُلاحَظَاتٍ دَقِيقَةً مُوَضَّحَةً بِالرُّسُومِ الْجَمِيلَةِ. وَلكِنَّ كِتَابَتَهُ المَعْكُوسَةَ المُبْهَمَةَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى جَعَلَت مِنَ الصَّعْبِ قِرَاءَةَ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ.

وَدَرَسَ لِيونَارْدُو أَيْضاً جِسْمَ الإِنْسَانِ بِعِنَايَةٍ لَمْ تُعرف في ذلك العصر. وَقَامَ بِتَشْرِيحِ نَحْوِ ثَلاثِينَ جُثَّةً لدراسة حركةِ العَضَلاتِ والدَّوْرةِ الدمويَّةِ في الجسم.

وكَانَ الطَّيَرانُ مِنْ بَيْنِ هِوَايَاتِهِ المُحَبَّبَةِ، فكَانَ يَشْتَرِي الطُّيورَ مِنَ السُّوقِ، وَيُطْلِقُ سَرَاحَهَا حَتَّى تَطِيرَ فَيَدْرُس حَرَكَاتِ أَجْنِحَتِهَا. وَمَلأَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَفْحَةً بِمُلاحَظَاتِهِ عَنْ طَيَرَانِ الطُّيُورِ.

وَقَدْ تَرَكَ لَنَا لِيونَارْدُو الكَثِيرَ مِنْ رُسُومِ النَّبَاتِ الجَمِيلَةِ - وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ مُجَرَّدَ رُسُومٍ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ دِرَاسَاتٍ حَيَّةً، لَهَا قِيمَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَفَنِّيَّةٌ. وَأَصْبَحَ لِيونَارْدُو أَيضاً مَاهِراً فِي عَمَلِ الخَرَائِطِ - كَمَا أُولِعَ بِالنُّجُومِ وَعِلْمِ الفَلَكِ، وَقَامَ بِتَقْدِيرِ حَجْمِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ - وَلا عَجَبَ أنْ كَانَتْ نَتَائِجُ حِسَابَاتِهِ بَعِيدَةً عن الصَّوابِ، فَقَدْ قُدِّرَتْ مُنْذُ مَا يُنِيفُ عَنْ أَرْبَعِمِئَةِ عَامٍ.

وكَانَ لِيونَارْدُو مُحِبّاً لِلنُّكْتَةِ - يَبْتَكِرُ مَا يُفَرِّجُ بِهِ عَنْ أَصْدِقَائِهِ فِي أَثْنَاءِ دِراساته الجَادَّةِ. وفي أَحَدِ الأَيَّامِ غَمَسَ ضَبّاً (حَرْدُوناً) مَيِّتاً فِي الزِّئْبَقِ، وَوَضَعَ له قشوراً مِنْ ضِبابٍ وَسِحَالٍ أُخَرَ، وأَضَافَ إِلَيْهِ قُروناً ولِحْيَةً، واحْتَفَظَ بِهِ فِي صُنْدُوقٍ لِيُخِيفَ بِهِ زُمَلاءَهُ.

لِيُونَارْدُو يَشْتَرِي طُيوراً في السُّوقِ، ثُمَّ يُطْلِقُ سَرَاحَهَا لِيُلِمَّ بأَسْرارِ طَيَرانِهَا.



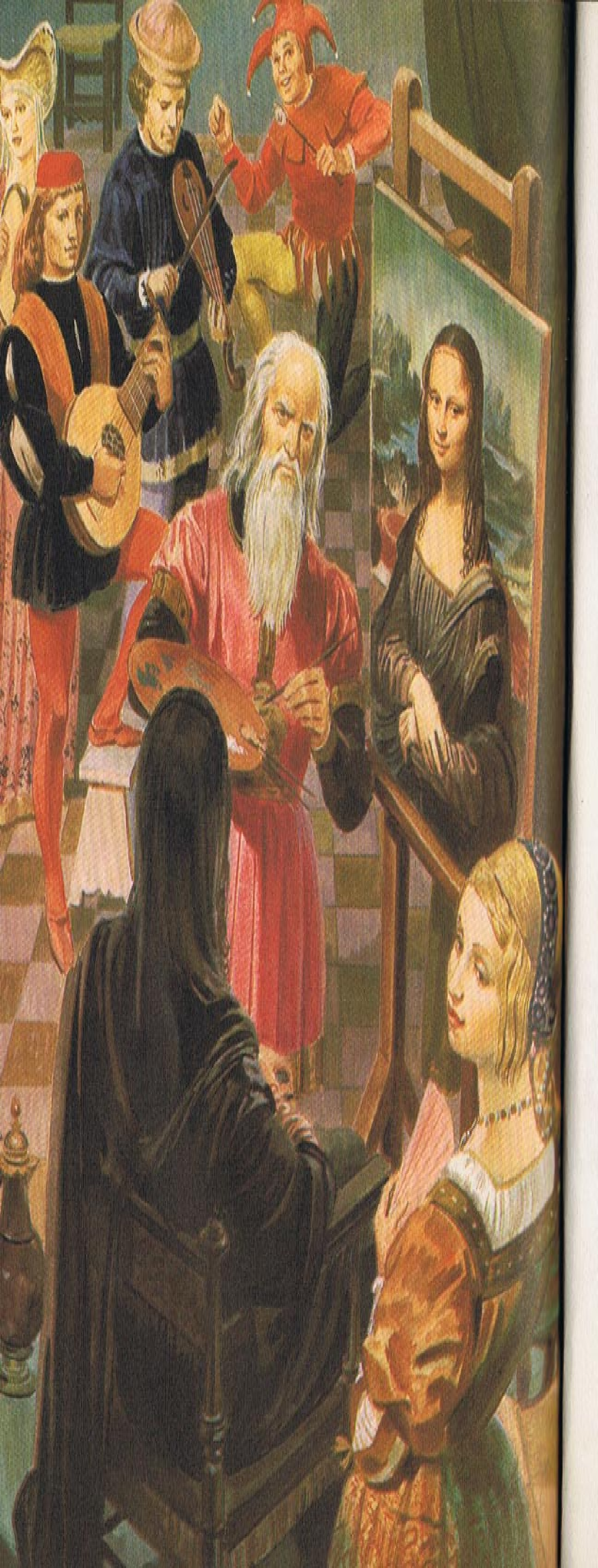
وكَانَ عقلُهُ الّذي لا يكِلُّ مشْغولاً أبداً بالاخْتِراعاتِ الجَديدةِ. ويُعدُّ لِيونارْدُو بحقٍّ مِنْ أعْظمِ المُخْتَرِعينَ في كلِّ العُصورِ. فقدْ صمَّمَ كثيراً منَ الأسْلِحَةِ، والمَنْجنيقاتِ، والسّلالِمِ المُنْزلِقةِ والجسُورِ. ولكِنْ لَمْ تُتحْ لَهُ إلّا فُرصٌ قليلةٌ لإبْرازِ مهارَتِهِ كمُهَنْدِسٍ حرْبيٍّ. وفَتَنهُ المَاءُ، فَخطَّطَ القَنَواتِ، ويُعْتَقَدُ أنّهُ مُخْتَرِعُ البوّابَةِ الصّمامِيَّةِ ذاتِ المِصْراعَيْنِ، المُسْتَعْمَلَةِ إلى يوْمِنا هذا. كما اخترعَ ساعةً مُنبِّهةً يُحرِّكُها الماءُ.

وبَعْدَ سُقُوطِ مِيلانُو، ذَهَبَ لِيونارْدُو إلى البُنْدُقِيَّةِ، (فِينيسْيا)، وبَدأ يَرْسُمُ خُطَطَ تحصِينٍ بحْرِيَّةٍ لأهْلِ البُنْدُقِيَّةِ، إذْ كانُوا مُعرَّضِينَ لِخَطرِ غزْوِ الأتْراكِ لهُمْ. فابْتَدَعَ مَلابِسَ غوّاصِينَ، وأحْذِيَةً مائِيَّةً تُشْبِه كثيراً «زعانِفَ العَوْمِ» الحَديثةَ. كذَلِكَ فكَّرَ في سُفُنٍ لِبثِّ الألْغامِ، وطَريقَةٍ لِثقْبِ أسْفَلِ السُّفُنِ. وكانَتْ لهُ مَقْدِرةٌ على فَهْمِ الأُسُسِ ولكنْ أعْوَزَتْهُ المُثابرة.

وأدَّتْ دِراسةُ لِيونارْدُو للطَّيَرانِ إلى قِيامِهِ باخْتِباراتٍ عِدَّةٍ. وصحَّتْ نُبوءَتُه بأنَّ الإنْسانَ سيَتمكَّنُ يوْماً ما مِنَ الطَّيَرانِ وقَد صمَّمَ هُوَ نَمُوذَجَ طائِرةٍ بأجْنِحَةٍ مُكوَّنةٍ من خشَبٍ وقُماشٍ رَقيقٍ وريشٍ، وتَحْكي الأُسْطُورَةُ أنَّ تِلْميذَهُ «زُورُوسْت دِي بيريتُولُو» طارَ بِها مِنْ قِمَّةِ تَلٍّ، فهَوَى وكَسَرَ ساقَهُ.

وفَطِنَ لِيونارْدُو إلى حاجةِ الإنْسانِ إلى آلةٍ ميكانِيكيَّةٍ تُعاوِنُهُ على الطَّيَرانِ، فصَمَّمَ جيروسْكُوباً (جهازاً لِحفْظِ التوازُنِ والاتّجاهِ) وطائِرةً طوّافَةً (هِلِيكُوبتِرا) وكَذلِكَ صنَعَ مِظلَّةً للهُبُوطِ (باراشُوتاً) علَى شكْلِ خيْمَةٍ.

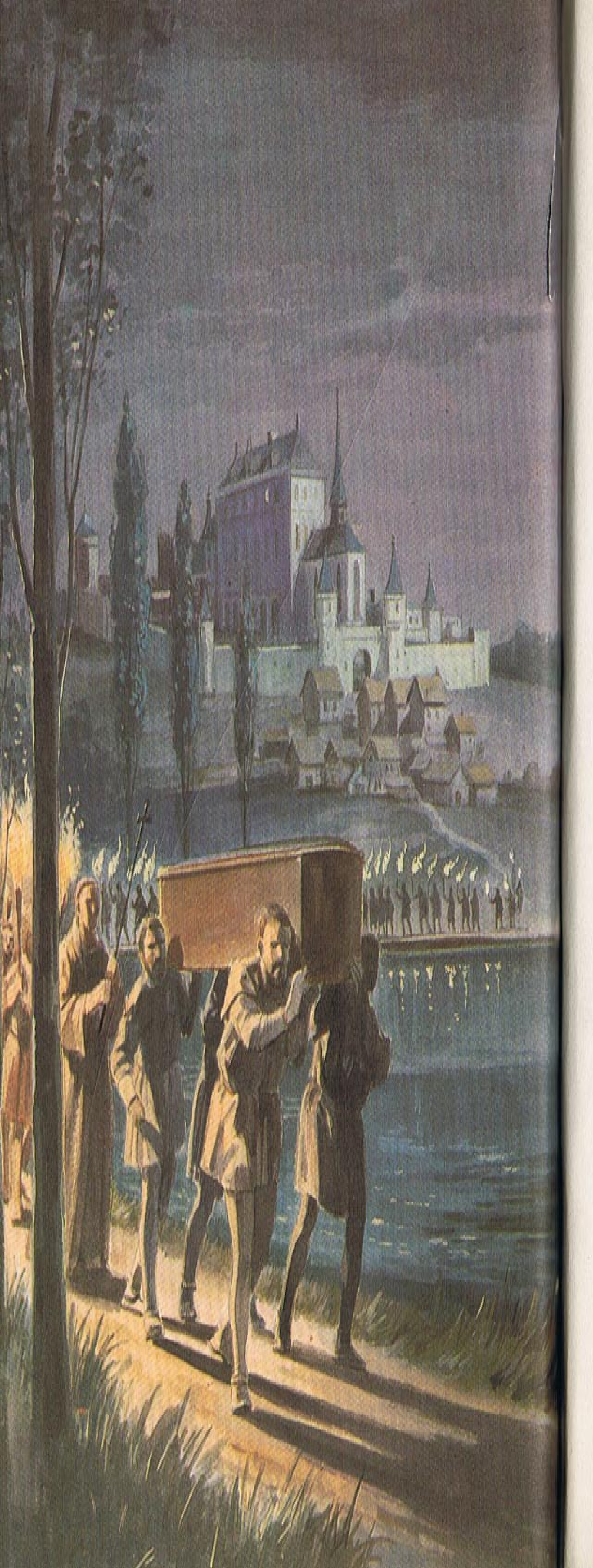
تِلْميذُ لِيونارْدُو يَهْوِي في طائِرتِهِ البِدائيَّةِ ويَكْسِرُ ساقَهُ.



وفي سَنَةِ ١٥٠٠ عادَ لِيونارْدُو إلى فْلورَنْسا بَعْدَ غِيابٍ دامَ عِشْرينَ عاماً. وكانَ قدْ بلَغَ الثّامِنَةَ والأرْبَعينَ مِنْ عُمْرِهِ وأصْبَحَ شَهيراً. وكانَ أنيقاً في لِباسِهِ، واقْتَنى الخَدَمَ والخُيولَ. وفي أثْناءِ إقامَتِهِ هَذِهِ، رَسَمَ لِيونارْدُو آخِرَ لَوْحاتِهِ العَظيمَةِ. وحازَتْ صُورَتُهُ التَّمهيدِيَّةُ لِلَوْحَةِ «العَذْراءِ والقِدّيسَةِ حَنَّة» إعْجابَ أهْلِ فْلورَنْسا. ولكِنَّها لَمْ تُكْمَلْ إلّا فيما بَعْدُ. وفي ذلِكَ الوَقْتِ تَقابَلَ لِيونارْدُو ومايْكِل أنْجلو، الّذي كانَ حينَئِذٍ فنّاناً شابّاً صاعِداً في التّاسِعَةِ والعِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ، وعُهِدَ إلَيْهِما معاً بتَزْيينِ جُدْرانِ قاعَةِ الاجْتِماعاتِ في قَصْرِ فِتْشيو.

ورَسَمَ لِيونارْدُو - في أثْناءِ إقامَتِهِ في فْلورَنْسا أشْهَرَ لَوْحاتِهِ المعْروفَةِ واسْمُها «مونالِيزا» وقَدْ تكُونُ هَذِهِ اللَّوْحَةُ هيَ الصُّورَةَ الأشْهَرَ على مَدَى الأزْمِنَةِ. وقَدْ حيكَتْ حَوْلَها أساطيرُ وحِكاياتٌ كَثيرَةٌ - كَما عُمِلَتْ عَنْها أوبرا - «المونالِيزا». وتُدْعى اللَّوْحَةُ أيْضاً «أجْيوكُونْدا» أو «المَرْأةَ الباسِمَةَ». وهيَ صُورَةٌ لِزَوْجَةِ نَبيلٍ كَهْلٍ اسْمُهُ فرانْسيسْكودل جيوكوندو، ولَمْ تكُنِ المَرْأةُ تَرْتَدي فاخِرَ الثِّيابِ، عَلَى النَّقيضِ مِنْ سيِّداتِ فلُورَنْسا اللّواتي كُنَّ يَظْهَرْنَ في أبْهَى ثِيابِهِنَّ حينَ يَجْلِسْنَ لِرَسْمِ صُوَرِهِنَّ. إذْ تَرْتَدي «مونالِيزا» جِلْباباً بَسيطاً قاتِماً، وتُغَطّي شَعْرَها بِوِشاحٍ، وتَظْهَرُ خَلْفَها جِبالٌ خَلّابَةٌ. أمّا ما يَسْتَرْعي انْتِباهَنا فَهوَ ابْتِسامَتُها الخافِتَةُ المُبْهَمَةُ. ويُقالُ إنَّ لِيونارْدُو اسْتَأْجَرَ لَها مُوسيقيّينَ ومُهرِّجينَ لِتَسْلِيَتِها والتَّسْرِيَةِ عَنْ نَفْسِها في أثْناءِ رَسْمِ صُورَتِها، وقَدِ احْتَفَظَ لِيونارْدُو بالصُّورَةِ حَتّى مَماتِهِ.

لِيونارْدُو يَرْسُمُ لَوْحَةَ «مونالِيزا»، ويُرى المُوسيقيّونَ المُسْتَأْجَرونَ.



وَفي سَنَةِ ١٥٠٦ دُعِيَ لِيُونَارْدُو لِلعَوْدَةِ إِلَى مِيلانُو، لِيُصْبِحَ رَسَّامَ ٱلْبَلَاطِ وَمُهَنْدِساً لِمَلِكِ فَرَنْسَا لوِيس ٱلثَّانِي عَشَرَ ٱلذي كَانَ يَحْكُمُ ٱلْوِلَايَةَ حِينَئِذٍ. وَسَمَحَ لَهُ ٱلفلُورَنْسِيُّونَ بِٱلْعَوْدَةِ، وَلَكِنَّهُ ٱضطُرَّ إِلَى تَرْكِ مَبْلَغٍ مِنَ ٱلمَالِ كَضَمَانَةٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَكْمَلَ صُورَتَهُ في قَاعَةِ ٱلْمَجْلِسِ بَعْدُ.

وَفي أَثْنَاءِ خِدْمَتِهِ لِمَلِكِ فَرَنْسَا، أَمْضَى لِيُونَارْدُو ثَلاثَةَ أَعْوَامٍ فِي رُومَا ٱبْتِدَاءً من سنة ١٥١٣. وَلَمْ يُسْنِدْ إِلَيْهِ ٱلْبَابَا أَيَّ عَمَلٍ، وَلَكِنَّهُ أَقَامَ فَتْرَةً في ٱلْفَاتِيكَانِ. وَفي هَذَا ٱلْوَقْتِ كَانَ مَايْكِل أَنْجلو قَدْ أَتَمَّ لَوْحَتَهُ ٱلْعَظِيمَةَ في كَنِيسَةِ ٱلسِّسْتِين، وكَانَ رَفَايِيل في ذُرْوَةِ مَجْدِهِ.

وكان لِيُونَارْدُو قد جاوز ٱلسِّتِّينَ مِنْ عُمْرِهِ. وَتَرَكَ رُومَا في سَنَةِ ١٥١٦ وَرَحَلَ بَعِيداً جِدّاً عَنْهَا... إِلَى فَرَنْسَا حَيْثُ سَمَحَ لَهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْفَرَنْسِيُّ ٱلْجَدِيدُ، فَرَنْسوَا ٱلأَوَّلُ، أَنْ يُقِيمَ في فِيلَّا صَغِيرَةٍ في أَمْبوَاز في وَادِي نَهْرِ ٱللُّوار. وَصَحِبَ لِيُونَارْدُو مَعَهُ فَنَّاناً مِيلانِيّاً يُدْعَى مَلْزِي لِيَكُونَ لَهُ زَمِيلاً مُخْلِصاً.

وَحَظِيَ لِيُونَارْدُو بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ ٱلاحْتِرَامِ، وَكَثِيراً مَازَارَهُ ٱلْمَلِكُ شَخْصِيّاً وقد أُوكِلَ إليه أَمْرُ تصميم حَفْلِ زَوَاجِ ٱبْنَةِ أُخْتِ ٱلْمَلِكِ فرانسوا.

وَمَرِضَ لِيُونَارْدُو سَنَةَ ١٥١٨، وَٱنْتَابَهُ شَلَلٌ في ذِرَاعِهِ ٱلْيُمْنَى، فَأَعَدَّ بِنَفْسِهِ مَرَاسِمَ دَفْنِهِ، وَطَلَبَ أَنْ يَحْمِلَ سِتُّونَ مِنَ ٱلْفُقَرَاءِ ٱلْمَشَاعِلَ في مَوْكِبِ دَفْنِهِ، وَتَرَكَ كُلَّ أَعْمَالِهِ لِمَلْزِي. وَدُفِنَ لِيُونَارْدُو بَعِيداً عَنْ مَوْطِنِهِ في كَنِيسَةِ سَانْت فلُورنتين في أَمْبوَاز.

جَنَازَةُ لِيُونَارْدُو في أَمْبوَاز.

مَايْكِل أَنْجلو (١٤٧٥ - ١٥٦٤)

وُلدَ مَايْكِل أَنْجلو في كابْريس ، عَلَى بُعْدِ نَحْوِ أَرْبَعَةٍ وسِتّينَ كيلومِتراً مِنْ فلُورَنْسا سَنَةَ ١٤٧٥ . وكَانَ أَبوهُ لُودُوفيكو قاضِياً مُعْتَزّاً بأَسْلافِهِ ٱلنُّبلاءِ . وَبَعْدَ وَلادَةِ ٱلطِّفْلِ بِقَليلٍ عادَت ٱلأُسْرَةُ إِلى فلُورَنسا . وَوُضِعَ ٱلطِّفْلُ في رِعايَةِ ٱمْرَأَةٍ قامَتْ مَقامَ أُمِّهِ في «سِتِنيانو» خارِجَ ٱلْمَدينَةِ مُباشَرَةً . وكانَتْ سِتِنْيانُو بَلْدَةَ مَقالِعَ حَجَرِيَّةٍ ، فَنَشأَ ٱلطِّفْلُ ٱلذي كَانَ مُقَدَّراً لَهُ أَنْ يُصْبِحَ أَعْظَمَ نَحّاتٍ عالَمِيٍّ ، يَلْهُو أَوّلَ ما يَلْهو بِٱلمَطارِقِ وٱلأَزاميلِ .

وَماتَتْ أُمُّهُ عِنْدَما كانَ في ٱلسّادِسَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، وَتَزَوَّجَ أَبوهُ ثانِيَةً . وَذَهَبَ مايْكِل أَنْجلُو إِلى فلُورَنْسا ، لِيَعيشَ مَعَ إِخْوَتِهِ ٱلأَرْبَعَةِ . وَٱلتَحَقَ بِٱلمَدْرَسَةِ الرسميَّةِ هناك . إلا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تِلْميذاً مُثابِراً . وقد عَقَدَ ٱلنِّيَّةَ عَلَى أَنْ يُصْبِحَ نَحّاتاً ، وَلكِنَّ وَالِدَهُ كانَ يَرى أَنَّ تِلْكَ ٱلمِهْنَةَ لا تَليقُ بِٱبْنٍ مِنْ سُلالَةِ ٱلنُّبلاءِ .

في هٰذِهِ ٱلأَثْناءِ تَصادَقَ مايْكِل أَنْجلُو مَعَ رَسّامٍ شابٍّ يُدْعَى فرانسيسْكُو جراناتْشِي ، ٱلَّذي كانَ يَتَمَرَّنُ لَدى ٱلأَخَوَيْنِ غِرْلَنْدايُو . وَفي سَنَةِ ١٤٨٨ ذَهَبَ مايْكِل أَنْجلُو لِلْعَمَلِ في مَرْسَمِهِما .

وَظَهَرَتْ مَقْدِرَةُ مايْكِل أَنْجلُو ٱلفَذَّةُ بَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ . فَقَدْ رَسَمَ «ٱلسِّقالَةَ» ٱلَّتي يَتَمَرَّنُ عَلَيْها ٱلمُساعِدُونَ ٱلصِّغارُ ، وَٱضْطَرَّ دُومِينيكو غِرْلَنْدايو إِلى أَنْ يُصَرِّحَ بِأَنَّ مَعْلُوماتِ ٱلطِّفْلِ ، ٱبنِ ٱلـ ١٣ سنةً تفوقُ معلوماتِهِ هو .

مايْكِل أَنْجلُو ٱلصَّبِيُّ يَلْعَبُ في رُكْنِ أَحَدِ ٱلمَحاجِرِ .



هناك

صفحات

ناقصة





وَوَصَلَ رَفَاييل إِلَى فلورنْسَا وَمَعَهُ خِطَابُ تَوْصِيَةٍ وَتَقْدِيمٍ لِرَئِيسِ ٱلْقُضَاةِ هُنَاكَ ، وُصِفَ فِيهِ بِأَنَّهُ شَخْصٌ رَزِينٌ وَلَطِيفٌ. وَكَانَ رَئِيسُ ٱلْقُضَاةِ بِيير سُودِيرِيني ، هُوَ ٱلْعُمْدَةَ ٱلسَّابِقَ ٱلَّذِي ٱنْتَقَدَ أَنْفَ ٱلتِّمْثَالِ «دَاوُد».

وَكَمَا سَبَقَ أَنْ تَحَدَّثْنَا فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ هٰذَا ٱلْكِتَابِ ، كَانَ لِيُونَارْدُو دَافِنْشِي فِي سَنَةِ ١٥٠٤ يَرْسُمُ لَوْحَتَهُ «مُونَالِيزَا» ، كَمَا كَانَ يَعْمَلُ هُوَ وَمَايكل أَنْجِلُو فِي تَزْيِينِ قَاعَةِ ٱلْمَجْلِسِ ٱلْجَدِيدَةِ بِالصُّوَرِ. وَلَا بُدَّ أَنَّ مَا رَآهُ رَفَاييل مِنْ لَوْحَاتٍ فِي فلورنْسَا ، قَدِ ٱسْتَحْوَذَ عَلَى مَشَاعِرِهِ. وَتَأَثَّرَ بِنَوْعٍ خَاصٍّ بِطَرِيقَةِ لِيُونَارْدُو فِي ٱلْعَمَلِ ، وَكَانَتْ هَادِئَةً وَبَسِيطَةً. وَلَاحِظْ كَيْفَ كَانَ يُكَوِّنُ مَجْمُوعَاتِهِ عَلَى أَشْكَالٍ هَرَمِيَّةٍ أَوْ مُثَلَّثَةٍ ، ثُمَّ تَأَثَّرَ فِيمَا بَعْدُ بِأَعْمَالِ مَايكل أَنْجِلُو بَعْدَ أَنْ رَأَى لَوْحَاتِهِ فِي رُومَا. وَقَابَلَ رَفَاييل ٱلرَّاهِبَ بَارْتُولُومِيو ، ٱلَّذِي كَانَ فِي ٱلْبُنْدُقِيَّةِ ، وَٱلَّذِي عَلَّمَهُ ٱلْكَثِيرَ عَنِ ٱلْأَلْوَانِ وَٱلرُّسُومِ ٱلْمَنْظُورَةِ. وَكَانَ بَارْتُولُومِيو أَحَدَ ٱلرُّهْبَانِ ٱلإِيطَالِيِّينَ ٱلْكَثِيرِينَ ٱلَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ ٱلْفَنِّ وَٱلرَّهْبَنَةِ.

وَٱسْتَمَرَّ رَفَاييل يَزُورُ بِيرُوجِيَا ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ فلورنْسَا ، وَأَتَمَّ بَعْضَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلَّتِي كَانَ قَدْ بَدَأَهَا هُنَاكَ. وَكَانَ يُنْظَرُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ رَسَّامٍ فِي بِيرُوجِيَا. أَمَّا فِي فلورنْسَا فَقَدْ حُجِبَتْ شُهْرَتُهُ وَرَاءَ عَبْقَرِيَّةِ كُلٍّ مِنْ مَايكل أَنْجِلُو وَلِيُونَارْدُو دَافِنْشِي. وَكَانَ كُلُّ مَا كُلِّفَ بِهِ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ فِي فلورنْسَا ، هُوَ رَسْمَ صُوَرٍ لِأَشْخَاصٍ ، أَوْ صُوَرٍ لِلْعَذْرَاءِ وَٱلطِّفْلِ يَحْتَفِظُ بِهَا ٱلنَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ. وَفِي فلورنْسَا ، وَفِي رِفْقٍ وَهُدُوءٍ ، ٱرْتَقَى إِلَى عِدَادِ ٱلرَّسَّامِينَ ٱلْمُمْتَازِينَ.

رَفَاييل يَزُورُ ٱلرَّاهِبَ ٱلْفَنَّانَ بَارْتُولُومِيو.

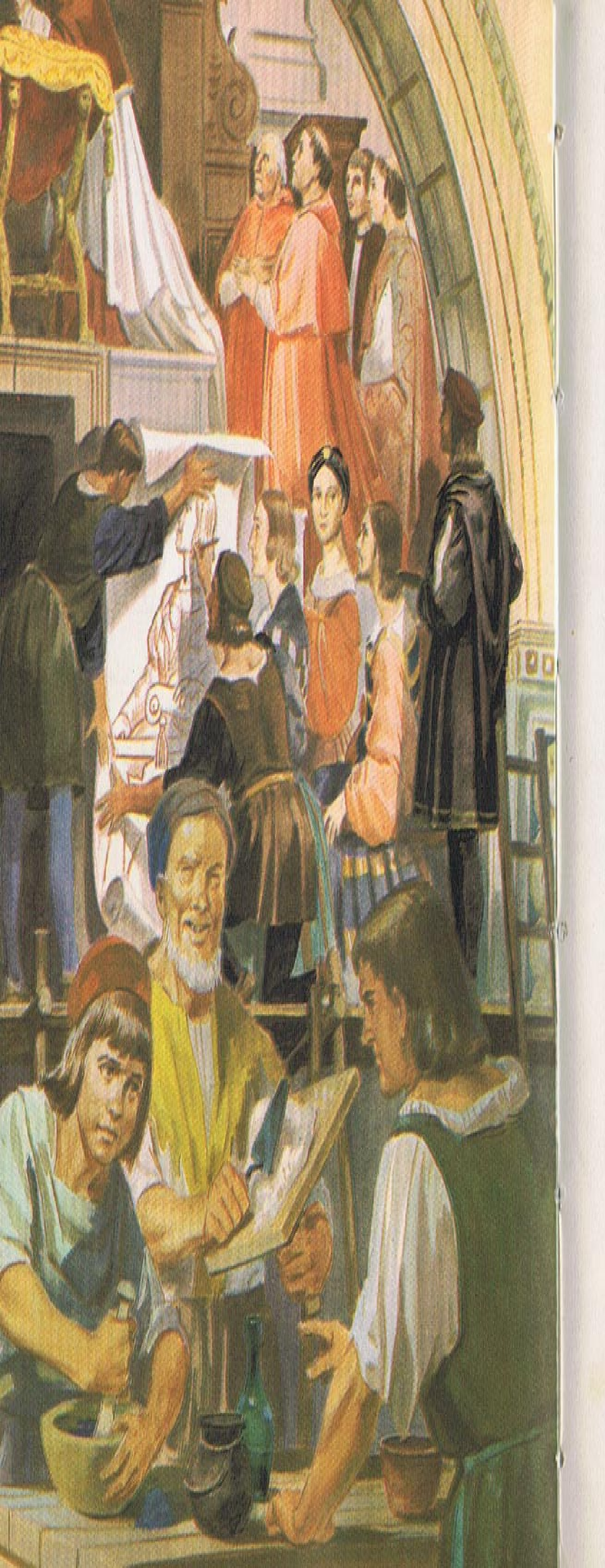


وَفي سَنَةِ ١٥٠٨ ذَهَبَ رَفَاييل إِلَى رُومَا ، لِسَبَبٍ غَيْرِ مَعْرُوفٍ. وَلَوْ أَنَّهُ قِيلَ إِنَّ ٱلْبَاعِثَ قَدْ يَكُونُ خَيْبَةَ أَمَلِهِ فِي ٱلْحُصُولِ عَلَى مُهِمَّةِ إِتْمَامِ ٱللَّوْحَاتِ ٱلَّتِي بَدَأَهَا لِيُونَارْدُو دَافِنْتشِي وَمَايْكِل أَنْجلُو فِي قَاعَةِ ٱلْمَجْلِسِ فِي فْلُورَنْسَا. وَفِي سَنَةِ ١٥٠٩ أَصْبَحَ رَسَّاماً ذَا مُرَتَّبٍ فِي بَلاطِ رُومَا.

وَعَهِدَ ٱلْبَابَا يُولْيُوس ٱلثَّانِي ، وَهُوَ ٱلَّذِي قَضَى مَايْكِل أَنْجلُو فِي عَمَلِ مَدْفَنِهِ وَقْتاً طَوِيلاً ، إِلَى رَفَاييل بِزَخْرَفَةِ جَنَاحِ ٱلستَانْزَادِلا سِنْيَاتُورا فِي ٱلْفَاتِيكَانِ. وَلَمْ يَبْرُزْ فِي رُومَا نَفْسِهَا فِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ فَنَّانُونَ مُقْتَدِرُونَ ، فَعُهِدَ بِالأَعْمَالِ ٱلْعَظِيمَةِ إِلَى ٱلرَّسَّامِينَ وَٱلْمَثَّالِينَ ٱلَّذِينَ وَفَدُوا إِلَيْهَا.

وَكَانَ رَفَاييل رَجُلاً مُثَقَّفاً ، تَعَلَّمَ ٱللاتِينِيَّةَ قَبْلَ مَعْرِفَتِهِ ٱلإِيطَالِيَّةَ. وَذَهَبَ إِلَى رُومَا كَمُصَوِّرٍ لِلأَشْخَاصِ ، وَلَكِنْ مَا لَبِثَ أَنْ حَقَّقَ فِي عَمَلِهِ سُرْعَةً وَشُمُولاً مَكَّنَاهُ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ رَسَّاماً يَتَّسِمُ بِقُدْرَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى ٱلتَّعْبِيرِ وَالوَاقِعِيَّةِ. وَكَانَ يُولْيُوس ٱلثَّانِي قَدْ سَئِمَ مَنَاظِرَ ٱللَّوْحَاتِ ٱلَّتِي سَبَقَ أَنْ زَيَّنَتِ ٱلْجُدْرَانَ ، فَرَسَمَ لَهُ رَفَاييل مَجْمُوعَةً نَفِيسَةً مِنَ ٱلصُّوَرِ ٱلْجِصِّيَّةِ (ٱلْفرِسْكُو). وَمِنْ أَشْهَرِ هٰذِهِ «مَدْرَسَةُ أَثِينَا» ٱلَّتِي تُعْطِينَا فِكْرَةً عَنْ شَغَفِهِ بِٱلْعُلُومِ ٱلْكلاسِيكِيَّةِ ، وَتُبَيِّنُ مَقْدِرَتَهُ عَلَى ٱلْجَمْعِ بَيْنَ مَجْمُوعَاتِ ٱلأَشْخَاصِ وَٱلْمَبَانِي فِي وَحْدَةٍ مُتَنَاسِقَةٍ. وَقَدْ صَوَّرَ لَنَا ٱلْعُلَمَاءَ ٱلْقُدَمَاءَ مُجْتَمِعِينَ فِي قَاعَاتٍ فَخْمَةٍ. وَيُظَنُّ أَنَّ صُورَةَ أَفْلاطُون تُمَثِّلُ لِيُونَارْدُو ، وَرُبَّمَا كَانَتْ صُورَةُ هِرَقْلِيطُس تُمَثِّلُ مَايْكِل أَنْجلُو ، بَيْنَمَا رَفَاييل نَفْسُهُ يَظْهَرُ وَسْطَ مَجْمُوعَةِ ٱلْفَلَكِيِّينَ.

رَفَاييل فِي طَرِيقِهِ مِنْ فْلُورَنْسَا إِلَى رُومَا.



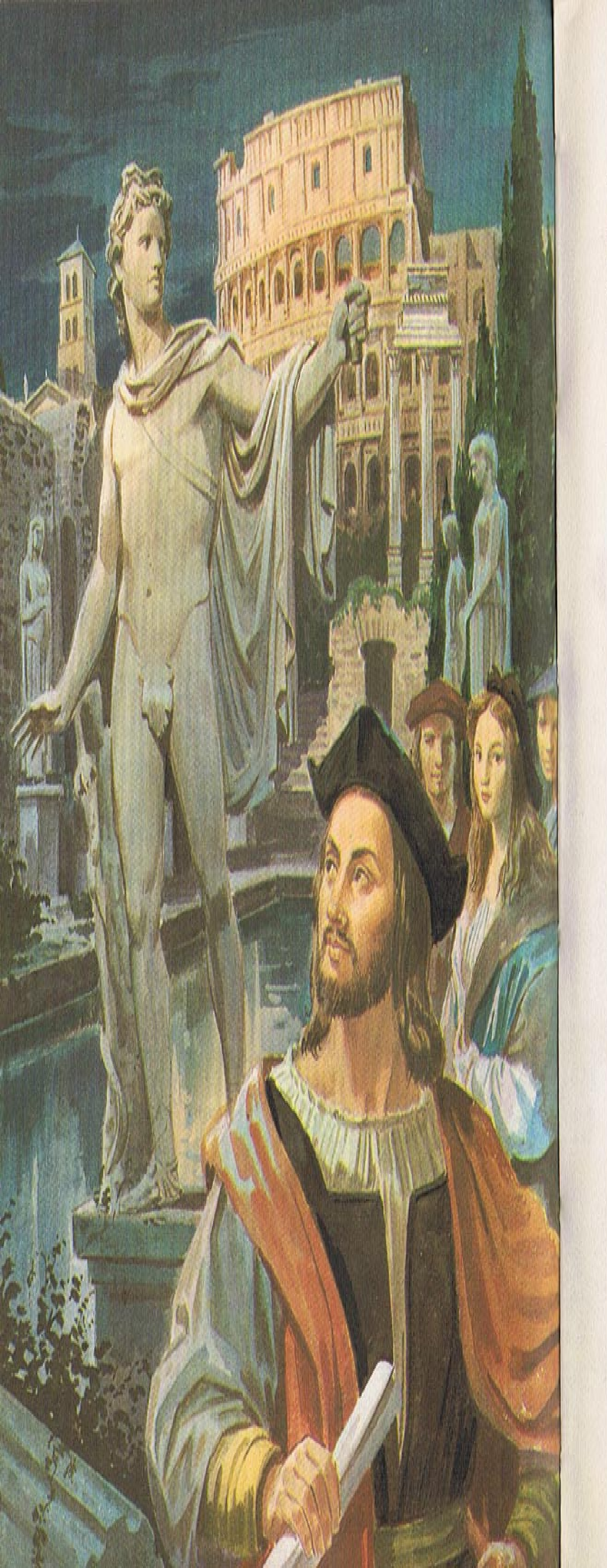
ولم يكنْ يَتَفَوَّقُ على رفاييلَ في رَسْمِ الفرِسْكو إلّا مايكل أَنْجلو. وكانَ مَايْكِلْ أَنْجِلو حينذاكَ مُنْهمِكاً في رَسْمِ سَقْفِ كَنِيسَةِ السِّسْتِين. ويَرْوي الفنّانُ فَسَاري عَنْ رَفَاييل أَنَّهُ دَخَلَ الكَنِيسَةَ خُلْسَةً، وَبَعْدَ أَنْ عَايَنَ عَمَلَ مَايْكِلِ أَنْجلو، غيَّرَ أُسْلُوبَهُ في العَمَلِ.

وَأَصْبَحَ رَفَاييل شيْئاً فَشَيْئاً رَسَّاماً مُنْهَمِكاً جدّاً بِالعَمَلِ. وَأَتَمَّ مَجْمُوعَةً أُخرى مِنَ الصُّوَرِ لِلْبَابَا يُولْيُوس الثَّاني في سْتَانْزا هِليدوراس. وكَانَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ تُمَثِّلُ المُغَامَرَاتِ الحَرْبِيَّةَ لِلْبَابَا الْمُقَاتِلِ وكَيْفَ أَنَّ اللهَ نَصَرَهُ.

وكَانَ كُلَّمَا زَادَ عَمَلُ رَفَاييل، زَادَ احْتِيَاجُهُ إِلى مُعَاونِينَ، وكَانَتْ طَرِيقَتُهُ في العَمَلِ أَنْ يَرْسُمَ بِنَفْسِهِ الصُّورَةَ التمهيدِيَّةَ الإجْمَالِيَّة، ثُمَّ تُنْقَلُ هذه بِمِرْقَمٍ عَلَى جِبْسٍ رَطْبٍ يَكُونُ البَنَّاءُونَ قَدْ أَعَدُّوهُ. وكَانَ البَنَّاءُونَ يقْتَصِرُونَ عَلَى تَغْطِيَةِ مِساحَةٍ عَلَى الحَائِطِ تكْفِي لِلعَمَلِ عَلَيْهَا يَوْماً واحِداً، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مِنَ المُسْتَطَاعِ إِضَافَةُ أَيِّ لَوْنٍ بَعْدَ أَنْ يَجِفَّ الجِبْس. وَبَعْدَ ذلك يَبْدأُ الفَنَّانُونَ الرَّسْمَ بِالأَلْوَانِ الَّتِي تكُونُ قَدْ مُزِجَتْ بِمَعْرِفَةِ مُسَاعِدِينَ آخَرِينَ. وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَمْكَنَ رَفَاييل إِنْجَازُ كَثِيرٍ مِنَ اللَّوحَاتِ، وَلَوْ أَنَّ الأَعْمَالَ الَّتي تَرَكَ جَانِباً كبيراً مِنْهَا لأَعْوَانِهِ لَمْ تَتِمَّ بِالجَوْدَةِ المَعْهُودَةِ.

وَفي رُومَا أَصْبَحَ رَفَاييل مُصَوِّراً بَارِعاً في رَسْمِ الصُّوَرِ الشَّخْصِيَّةِ. فَقَدْ أَعْجَبَ رِمبْرانت بِصُورَتِهِ لِلْبَابَا لِيُو العَاشِرِ. وَتُظْهِرُ صُوَرُ رَفَاييل النَّاسَ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ يَعْمَلُ بِتكْلِيفٍ وَتَصَنُّعٍ، كَمَا فَعَلَ رُوبِنْز وَفَان دَايْك.

صورَةٌ بالجِصِّ (الفريسكو) يَجري العَمَلُ بِها قُدُماً في الفاتيكان.



وفي سَنَةِ ١٥١٤ عُيِّنَ رَفَايِيل في مَنْصِبِ رَئِيسِ ٱلمهَنْدِسِينَ ٱلمِعْمَارِيِّينَ في كَنِيسَةِ ٱلقِدِّيسِ بُطْرُس. وَقَدْ شَغَلَ ٱلمَنْصِبَ بَعْدَهُ مَايْكِل أَنْجلو، وكَانَ ٱلعَمَلُ ٱلوَحِيدُ ٱلَّذِي قَامَ بِهِ رَفَايِيل هُنَاكَ هُوَ إِتْمَامَ فِنَاءٍ. غَيْرَ أَنَّ ٱهْتِمَامَ رَفَايِيل بِفَنِّ العِمَارَةِ أَخَذَ يَتَعَاظَمُ، وَتَرَكَ كَثِيراً مِنَ ٱلرَّسْمِ وَٱلتَّصْوِيرِ لِمُسَاعِدِيهِ.

وَفي سَنَةِ ١٥١٥ عُيِّنَ قَيِّماً عَلَى مُتْحَفِ ٱلمَخْطُوطَاتِ ٱلأَثَرِيَّةِ، وَبِذَلِكَ زَادَ ٱهْتِمَامُهُ بِفَنِّ قُدَمَاءِ ٱلإِغْرِيقِ. وَوَضَعَ تَخْطِيطاً لإِعَادَةِ بِنَاءِ مَدِينَةِ رُومَا ٱلقَدِيمَةِ. كَمَا شَغَلَ مَنْصِباً آخَرَ هو مَنْصِبُ المُشْرِفِ على تَخْطِيطِ ٱلشَّوَارِعِ، وَوَلَعُهُ بِتَخْطِيطِ ٱلمُدُنِ يُذَكِّرُنَا بِلِيونَارْدُو دَافِنْشِي. وقد بَنَى رَفَايِيل لِنَفْسِهِ قَصْراً أَنِيقاً، ولكِنْ لِسُوءِ ٱلحَظِّ لَا أَثَرَ لَهُ ٱليَوْمَ. كَذَلِكَ صَمَّمَ فِيلَّاتٍ كَثِيرَةً.

وَفي سَنَةِ ١٥١٦ عَمِلَ رَفَايِيل ٱلتَّصْمِيمَاتِ ٱللازِمَةَ للسَّتَائِرِ ٱلشَّهِيرَةِ ٱلَّتي كَانَتْ سَتُكَمِّلُ زَخْرَفَةَ كَنِيسَةِ ٱلسِّسْتِين. وكَانَتِ ٱلرُّسُومَاتُ وَاضِحَةً وَمُبَسَّطَةً لِكَيْ يَفْهَمَهَا ٱلنَّسَّاجُونَ، وَهِيَ تُصَوِّرُ أَعْمَالَ ٱلحَوَارِيِّينَ.

وَعَثَرَ رُوبِنْز فِيمَا بَعْدُ على تَصَامِيمِ هَذِهِ ٱلرُّسُومِ، وَأَتَى بِهَا لِلْمَلِكِ تشارلز ٱلأَوَّلِ في إِنْجلترا. وَهُنَاكَ قُطِّعَتْ إِلَى شَرَائِحَ، وَٱسْتُخْدِمَتْ كَنَمَاذِجَ في مَصَانِعِ نَسْجِ ٱلسَّجَاجِيدِ. ثُمَّ أُعِيدَ تَرْمِيمُهَا في عَهْدِ وِلْيَم ٱلثَّالِثِ. وكَانَ رَفَايِيلُ، شَأْنُهُ في ذَلِكَ شَأْنُ لِيونَارْدُو، رَجُلاً مُتَعَدِّدَ ٱلمَوَاهِبِ، عَمِلَ في ٱلفُسَيْفِسَاءِ وَٱلأَضْرِحَةِ (القبور)، وإِعْدَادِ المَسَارِحِ وَتَصْمِيمِ ٱلأَثَاثِ.

رَفَايِيل يَحْلُمُ بِإِعَادَةِ مَدِينَةِ رُومَا ٱلقَدِيمَةِ إِلَى عَظَمَتِهَا ٱلسَّابِقَةِ.



مِنَ ٱلصَّعْبِ عَلَيْنَا بَعْدَ مُضِيِّ أَرْبَعَةِ قُرُونٍ وَنِصْفِ قَرْنٍ أَنْ نُكَوِّنَ فِكْرَةً وَاضِحَةً عَنْ رَفَايِيل كَشَخْصٍ. فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَزَوَّجَ أَوْ أَنْجَبَ أَطْفَالاً، كَمَا أَنَّهُ يَصْعُبُ ٱلتَّأَكُّدُ مِنْ قِصَصِ مُغَامَرَاتِهِ ٱلْغَرَامِيَّةِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ. وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ شَخْصاً حَاضِرَ ٱلْبَدِيهَةِ مَحْبُوباً جِدّاً. وَكَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ لَقَبُ «ٱلْمُلْهَم»، وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّ ٱلْحَيَوَانَاتِ نَفْسَهَا كَانَتْ تَأْنَسُ إِلَيْهِ. وَيَقُولُ فَسَارِي إِنَّ رَفَايِيل لَمْ يَتْرُكْ مَنْزِلَهُ فِي رُومَا إِلَّا وَمَعَهُ حَاشِيَةٌ مُكَوَّنَةٌ مِنْ خَمْسِينَ فَنَّاناً.

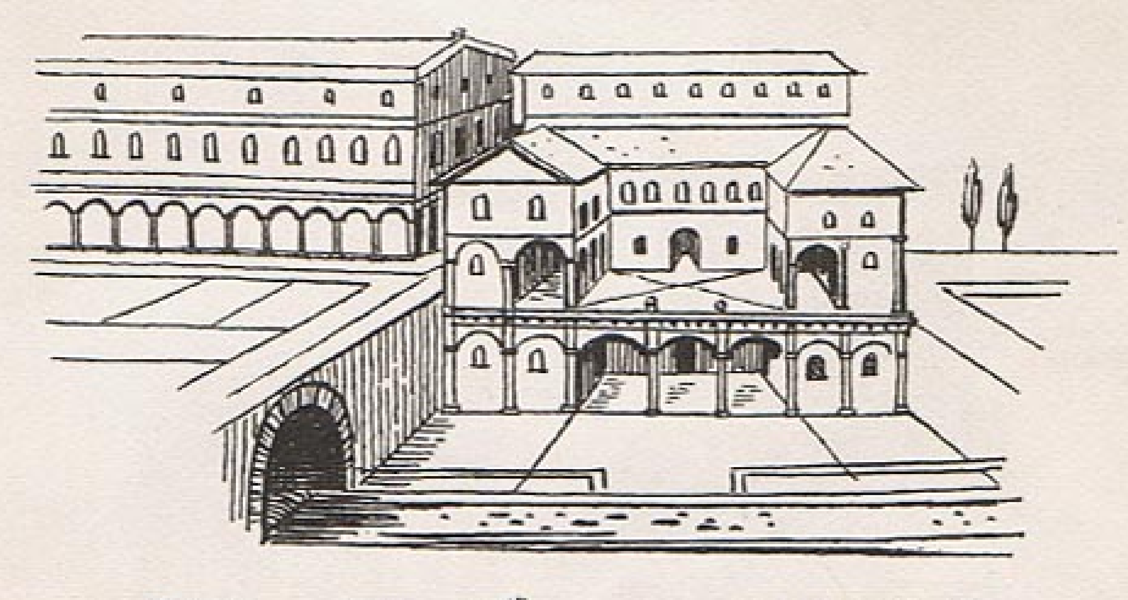
وَكَانَ رَفَايِيل رَجُلاً عَالِماً، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ شَيْئاً عَنْ نَفْسِهِ كَمَا فَعَلَ لِيُونَارْدُو وَمَايْكِل أَنْجِلُو. وَعَكَفَ عَلَى دِرَاسَةِ ٱلْإِنْسَانِ. وَكَانَ يُسَرُّ بِرَسْمِ وَتَجْمِيعِ أَشْخَاصِهِ بِحَيْثُ تَكُونُ ٱلْخَلْفِيَّةُ مِنَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ أَوِ ٱلْهَنْدَسَةِ ٱلْمِعْمَارِيَّةِ لِتَتَأَلَّفَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ وَحْدَةٌ مُتَنَاسِقَةٌ.

وَآخِرُ صُورَةٍ لَهُ وَهِيَ صُورَةُ «تَجَلِّي ٱلْمَسِيحِ» لَمْ تَكُنْ قَدْ أُكْمِلَتْ وَقْتَ وَفَاتِهِ، وَوُضِعَتْ فَوْقَ نَعْشِهِ. وَمَاتَ رَفَايِيل فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ نَتِيجَةَ حُمَّى حَادَّةٍ مُسْتَمِرَّةٍ وَهُوَ فِي سِنِّ ٱلسَّابِعَةِ وَٱلثَّلَاثِينَ. وَحَزِنَ عَلَيْهِ أَصْدِقَاؤُهُ كَثِيراً، وَلَمَّا سَمِعَ ٱلْبَابَا لِيُو ٱلْعَاشِرُ نَبَأَ وَفَاتِهِ، قَالَ «صَلُّوا مِنْ أَجْلِنَا».

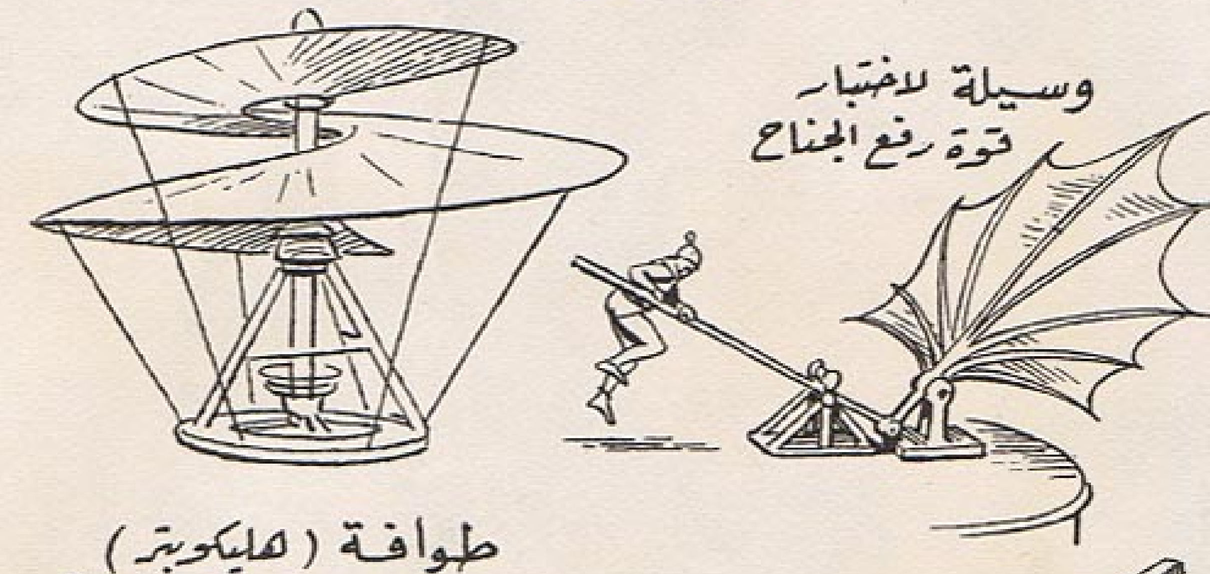
وَبَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَدَ أَعْوَانُهُ إِلْهَامَهُمُ ٱلْفَنِّيَّ، وَضَعُفَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَقَلَّتْ جَوْدَتُهَا. وَلَا يُوجَدُ فِي ٱلْعَالَمِ كُلِّهِ مَدِينَةٌ أُخْرَى عَمِلَ فِيهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَةُ فَنَّانِينَ عِظَامٍ مِثْلُ رَفَايِيل وَمَايْكِل أَنْجِلُو وَلِيُونَارْدُو دافِنْتشِي.

 رَفَايِيل يُغَادِرُ ٱلْقَصْرَ بَيْنَ حَاشِيَةٍ مِنَ ٱلْفَنَّانِينَ، وَتَظْهَرُ لَوْحَتُه «عَذْرَاءُ ٱلْكُرْسِي».

مشروعات لأوقات السِّلم



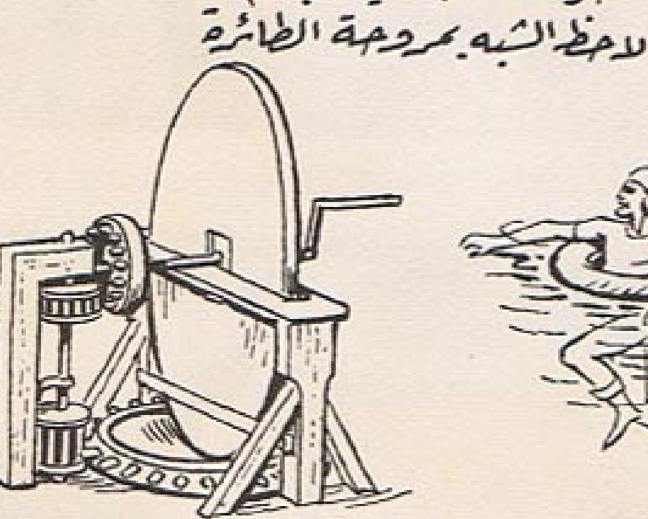
مدينة مثالية ذات شوارع معلّقة وقناطر وساحات
وقنوات سريعة التصريف



مظلة هبوط
(باراشوت)

طوافة (هليكوبتر)
لاحظ الشبه بمروحة الطائرة

وسيلة لاختبار
قوة رفع الجناح



آلـة تصقل المرايا المقعّرة

طوق نجاة

بوابات صمامية،
ذات مصدّات تمنع الاندفاع
الخلفي. ولا يزال هذا
النوع مستعملا.

بعض مخترعات

سِلْسِلَة الفَنّ

(١) الفَنَّانُون العِظام

(الجزء الأول – روبنز ، رمبراندت ، ڤيرمير)

(٢) الفَنَّانُون العِظام

(الجزء الثاني – ليوناردو دافنشي ، مايكل انجلو ، رفاييل)

(٣) الفَنَّانُون العِظام

(الجزء الثالث – ڤان كوخ ، چوچان وسيزان)


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net